المملكة العربية السعودية
وزارة الشئون الإسلامية

التفسير البسيط للقرآن الكريم

الجزء الثالث

بقلم
د. حسن محمد باجودة

منشورات الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم الدولية
٣

الطبعة الأولى

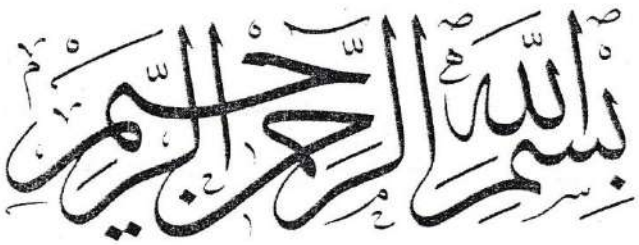
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا تفسير مبسط للجزء الثّالث من القرآن الكريم ، يكمل به تفسير سورة البقرة ويغطّى صدراً من سورة آل عمران . وقد قمت بعمله على غرار تفسير الجزءين الأوّل والثانى ، اللّذين طبعتهما وزارة الحجّ والأوقاف مشكورة ، تلبية لرغبة كريمةٍ للّجنة العليا المنظمة للاحتفال السّنويّ العالميّ لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، برئاسة معالي وزير الحجّ والأوقاف الشيخ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع . إنَّ هذا الجزء الثالث هو ميدان التفسير للمتسابقين فى الحقل الأول ، الذى يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التفسير ، من بين حقول المسابقة الخمسة ، فى الاحتفال السّنويّ السادس ، المنعقد فى شهر جمادى الثانية سنة ١٤٠٤ هـ . وكأن هذا التفسير تتويج للأعمال التي تمّت فى مجال التّفسير ، أثناء الاحتفال السادس . علماً بأن ميدان التفسير للمتسابقين هذا العام ١٤٠٥ هـ هو الجزء الرابع من القرآن الكريم .

وأنتهز هذه الفرصة المباركة كي أوجّه خالص شكرى وتقديرى لوزارة الحجّ والأوقاف ، وعلى رأسها معالى الوزير ، على الثّقة التى منحتنى إيّاها ، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الّذى حرصت فيه ، كما حرصت فى سابقيه ، على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١ – أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .
٢ – أن أشير إلى الدّروس الّتى يمكن أن تستفاد .
٣ – أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبّله ، وأن يعفو عمّا بدر منّا من تقصير ، وألاّ يحرمنا الأجر ، إنّه سميع مجيب .

« ربّنا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . رَبّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا . رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَفِرِينَ » .

« سبحان ربّك ربّ العِزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين » .

وصّلى الله وسلّم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

مكة المكرّمة
يوم الجمعة ٣ / ١ / ١٤٠٥ هـ
الموافق ١٩٨٤/١٠/٢٨ م

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمد باجودة
رئيس قسم الدراسات العليا
جامعة أم القرى - بمكة المكرمة

أولاً
تمام سورة البقرة

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ
مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟
فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۖ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ
أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

بين يدي التفسير

تفضيل الله تعالى بعض الرسل
والدعوة إلى التوحيد والأدلة على البعث
(الآيات ٢٥٣ - ٢٦٠)

أشار السّياق من ذى قبل إلى اصطفاء الله تعالى طالوت ملكاً على بنى إسرائيل وإلى اصطفاء داود عليه السلام الّذى قتل جالوت، بالملك والحكمة والعلم، إضافةً إلى نعمة النبوّة، ونصّت آخر آيات الجزء الثّانى على اصطفاء الله تعالى النّبيّ محمّداً ﷺ بنعمة الرّسالة، ومعروفٌ أنّ درجة الرّسالة أعلى مظاهر إنعام الله تعالى على عبدٍ من عباده وأنّ درجة النّبوّة هي الطّريق الوحيد المؤدّى إليها. وها هي ذى أولى آيات الجزء الثّالث تشير إلى تفضيل الله بعض الرّسل على بعض. ومعروفٌ أنّ نعمة النّبوّة ونعمة الرّسالة واحدة فى حقّ النبيّين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإنّما يتمّ التّفضيل بأمورٍ أُخر زائدة عليها، ومن ثمّ كان من بين المرسلين أولو عزم، ومنهم من اتّخِذَ خليلاً، ومنهم من كلّمه الله تعالى. وقد نصّت الآية الكريمة على موسى عليه السّلام الّذى كلّمه الله تعالى، وعلى عيسى عليه السّلام الّذى اصطفاه تعالى بالآيات البيّنات وأيّده بروح القدس. وبين موسى عليه السّلام السّابق زمناً وبين عيسى عليه السّلام المتأخّر عنه زمناً، تنصّ الآية على محمّد بن عبد الله ﷺ باعتباره واسطة العقد « ورفع بعضهم درجات ».

وبمشيئة الله اختلف أتباع الرّسل من بعد ما جاءتهم البينات واقتتلوا ومنهم من آمن ومنهم من كفر. وبما أنّ الصّراع بين الإيمان والكفر أزليّ وأنّ على المؤمنين أن يعدّوا ما استطاعوا من قوّة، ومن وسائل تحقيق القوّة الإنفاق في سبيل الله تعالى لذلك نصّ السّياق على الإنفاق فى سبيل الله تعالى من قبل أن يأتي يوم القيامة الّذي لا ينفع فيه فداء ولا صداقة ولا شفاعة. ويلاحظ التّدرّج البديع بشأن هذه الأمور الثلاثة من القريب إلى البعيد، من السهل إلى الصّعب، كما نصّ السّياق على كون الكافرين هم الظّالمين.

وبما أنّ معنى الظّلم بعامّةٍ وضع الشّىء فى غير موضعه، وبما أنّ أكبر مظاهر الظّلم

الإشراك مع الله تعالى غيره ، فقد جاءت بعد ذلك الآية الكريمة الّتى نصّت على توحيد الله تعالى ، ألا وهي آية الكرسيّ ، سيّدة آيات القرآن الكريم ، وأعظم آية ، والّتى تعدل ثلث القرآن ، لأنّ القرآن توحيدٌ وأمرٌ وقصص ، وهذه الآية الكريمة تُعْنى بالتّوحيد ، ومن فضائل آية الكرسّي كما جاء فى صحيح البخارىّ مثلاً أنّ من قرأها إذا أوى إلى فراشه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطانٌ حتىّ يصبح . وقد جاء فى هذه الآية الكريمة اسم الله تعالى مكرّراً بين ظاهرٍ ومضمر ثماني عشرة مرّة .

وبعد أن تبيّنت حقيقة التّوحيد ، قرّرت الآية الكريمة التّالية أنّه لا إكراه فى الدّين لأنّ الرّشد وهو الإيمان قد تبيّن ولأنّ الغيّ وهو الكفر قد اتّضح ، ولأنّ الإيمان من متعلّقات القلب ، ولا سلطة لمخلوق على قلب مخلوقٍ آخر ، وبما أنّ الحقّ وهو دين الإسلام قد تبيّن فالمنتظر من كلّ عباد الله تعالى أن يكونوا مسلمين لله تعالى بعد أن يستعملوا نعمه جلّ وعلا وفي مقدّمتها العقل استعمالاً صحيحاً . ووراء ذلك على المسلمين أن يعدّوا ما استطاعوا من قوة لحماية الحقّ وحماية الّذين يعتنقون الحقّ وضمان حرّيّة اختيار عباد الله تعالى الّذين الّذى يرتضون ووقتها لن يكون اختيارهم بفضل الله تعالى إلاّ للدّين الّذى رضيه الله تعالى ووعد بإظهاره على الدّين كلّه ولو كره المشركون . وتقرّر الآية الكريمة أنّ من يكفر بالّطاغوت أي بالشّيطان الرّجيم وبكلّ ما يعبد من دون الله تعالى ويؤمن بالله فقد تمسّك بعروة الإسلام الوثقى ، بشهادة ألاّ إلهَ إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ، تلك العروة التى لا انفصام لها ولا انقطاع والله سبحانه وتعالى سميعٌ لما يقال فى السّر والعلن عليم بما يفعل فى الظّاهر والباطن .

وبيّنت الآية الكريمة التّالية أنّ الله تعالى هو وليّ الّذين آمنوا وعبدوا الله تعالى وحده لاشريك له فى ضوء المعانى الّتى بيّنتها آية الكرسّي الّتي عُنيتْ بقضيّة التّوحيد عناية بالغة . وهؤلاء المؤمنون إذا كانوا قد خرجوا من الظلمات إلى النّور بتوحيد الله تعالى ، فإنّه جلّ وعلا سيهديهم دائماً وأبداً سبله فهم دائماً وأبداً فى نور الحقّ والإيمان . وفى المقابل هنالك الّذين كفروا الّذين يخرجون من ظلمات إلى ظلمات بعد أن أخرجهم الطّاغوت أساساً من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر . إنّ هؤلاء الكافرين وإن كان بعضهم لم يتحوّل إلى نور الإيمان أساساً ، فقد كانت فى حقّه كلّ الوسائل مهيّئةً كي

يخرج من ظلمات الشّرك إلى نور التّوحيد ، وهو بذلك فى حكم من تحوّل إلى الإيمان فأخرجه الطّاغوت من النّور إلى ظلمات الكفر ، وظلّ يخرجه من ظلمة إلى ظلمة . إنّ هؤلاء الكافرين أصحاب النّار . ويفهم ضمناً أن المؤمنين أصحاب الجنّة . وذلك هو مصير الغيّ وهو الكفر وهذا هو مصير الرّشد وهو الإيمان . ويتحّول السّياق إلى الحديث عن أحد أعلام الرّشد وقممه وهو إبراهيم عليه السّلام ، وأحد أساطين الغيّ والضّلال وهو النُّمروذ ملك بابل الّذى ادّعى الرّبوبيّة ، وزعم أنّه يحيى ويميت ، وألهم الله تعالى إبراهيم عليه السّلام الحجّة الّتى أفحمته إذ لم يستطيع أن يزعم أنّه قادرٌ على أن يأتي بالشّمس من المغرب ، بل لم يستطع أن يزعم أنّه هو الّذى يأتى بالشّمس من المشرق ! ولله الحجّة البالغة . إنّ حال المدّعى الرّبوبيّة يستحقّ أن يتعجّب منه « ألم تر » وإن حال المارّ على القرية الّذى استعظم أو استبعد عودة الحياة إلى أهل القرية الأموات الّذين طال العهد بموتهم للدّرجةالّتى سقطت معها حيطان الأبنية على سُقُف القرية الّتى سقطت من قبل ، إنّ حال المارّ على القرية يستحقّ أن يتعجّب منه هو الآخر . لقد أماته الله تعالى مائة عام ثمّ بعثه وظنّ أنّه لبث نائماً يوماً أو بعض يوم لأنّه نام أوّل النّهار واستيقظ قبل أن تغرب الشّمس ، وقد آتاه الله تعالى دليلين خارجيّين على القدرة المطلقة للذّات العليّة أحدهما أنّ الطّعام والشّراب لم تغيّرهما السّنوات وآخرهما أنّ حماره قد غدا عظاماً متناثرة فأراه الله تعالى الدّليل على البعث والنّشور حينما اجتمعت بإرادة الله تعالى عظام الحمار المتناثرة ، وركب بعضها على بعض وكستها العناية الإلٰهيّة لحماً وأعادت الحياة إلى الحمار الّذى نهق بعد أن نفق . لقد فهم المارّ من سلامة الطّعام والشّراب الدّليل على سلامته هو بإرادة الله تعالى هذه السّنوات الطّوال . وفهم من عودة الحياة إلى الحمار الدّليل على عودة الحياة إليه فى الدّنيا بعد أن أماته الله تعالى مائة عام ، والدّليل على عودة الحياة إلى الخلائق يوم القيامة من أجل الحساب والجزاء قال تعالى :

« فلمّا تبيّن له قال أعلم أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير » .

وإذا كان إبراهيم عليه السّلام قد جاء على لسانه خطاباً لنُمروذ الطّاغية : « ربّي الّذى يحيى ويميت » فإنّه يطلب من ربّه جلّ وعلا أن يريه بعينيه كيف يحيى جلّ وعلا الموتى كي يترقّى إبراهيم عليه السّلام من علم اليقين إلى عين اليقين . وكان تحقيق طلب

إبراهيم عليه السّلام فى أمره أن يأخذ بيديه أربعةً من الطّير ، وأن يميلهنّ إليه ويضمّهنّ ، ويتأمّلهنّ ويتدبرهنّ ، ويذبحهنّ ويخلط دماءهنّ ولحومهنّ وريشهنّ وأن يجعل على كلّ جبل من جبال بلاده الأربعة فيما يقال ربعاً ، وأن يمسك برءوسهنّ وأن يدعوهنّ صائحاً بهنّ : تعالين بإذن الله تعالى فتجتمع بإرادة الله تعالى الأجزاء إلى بعضها ، وتتّجه الطّيور إلى إبراهيم عليه السّلام الّذى يمسك برءوسها مسرعة مشياً على الأقدام من تمام الآية وكما لها لاطيرانا إلى أن يلتحم كلّ جسد متحرّك برأسه الممسك به إبراهيم عليه السّلام بيديه . إنّ على إبراهيم عليه السّلام وعلى كلّ عباد الله تعالى أن يعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى عزيزٌ فى ملكه حكيمٌ فى صنعه .

الحثّ على الإنفاق في سبيل الله تعالى
وشروطه وثوابه
(الآيات ٢٦١-٢٧٤)

بعد ذكرٍ عددٍ من البراهين الدّالّة على القدرة المطلقة للذّات العليّة جاء الحديث عن الإنفاق في سبيل الله تعالى ، والحثّ عليه ، وتبيين الثّواب الجزيل عليه . وسبق أن حثّت السّورة الكريمة على الجهاد في سبيل الله تعالى بالنّفس وبالمال ، وها هو ذا السّياق يعود إلى الدّعوة إلى الإنفاق في كلّ أوجه البرّ وبخاصّةٍ في مجال الجهاد في سبيل الله تعالى . وحينما يكون الإنفاق على الأصناف الّتي تصحّ في حقّها الصّدقات ، فإنّ الآية الكريمة التّالية تخصّ بهذا الثّواب الّذين لايُتْبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى . كما تبيّن الآية الكريمة بعد ذلك أنّ القول المعروف والكلمة الطّيّبة للسّائل والعفو عنه إذا ألحّ في المسألة خيرٌ من صدقة يتبعها أذى والله غنيٌّ عن العباد حليمٌ لايعاجلهم بالعقوبة . كما تضرب الآية الكريمة التّالية المثل على إبطال صدقة المانّ والمؤذى والمرائى الّذى لايؤمن بالله واليوم الآخر ويلحق بهؤلاء الكافر ، بالصّفوان الّذى عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لايقدرون على شيءٍ ممّا كسبوا . إنّ الآية الكريمة تنزّل المرائى عماد هذا الصنف من النّاس الّذى يبطل صدقاته ، وبخاصّةٍ قلب هذا المرائى المنصرف عن الله تعالى ، منزلة الصّخرة الصّمّاء والحجر الكبير الأملس اللّذين يوجد عليهما قليل تراب هو بمثابة العمل القليل الّذى قام به . إنّ ذلك العمل ضعيف الصّلة بذلك القلب لأنّه قلبٌ غير موصولٍ بالله . وإنّ ذلك التّراب ضعيف الصّلة بذلك الحجر الأملس لأنّه حجر غير موصول بالتّربة الصّالحة . وكما ذهب تراب الصّخرة الملساء لهطول الوابل ، يذهب عمل ذلك الشّخص ذى القلب غير الموصول بالله تعالى لأنّ تعاليم السّماء حينما هطلت في هيئة القرآن الكريم والسّنّة المطهّرة لم تجد بذور الخير الرّاسخة الّتى يمكن أن تنمو وتزكو في التّربة الصّالحة ، بل انكشف عن ذلك الوابل التّراب اليسير الّذى كان عليه ، فظهر القلب على حقيقته ليس له ثبات على الأوامر والنّواهي والقضاء والقدر وما إلى ذلك . إنّ على كلّ من الحجر الأملس والقلب غشاءً خلاباً خدّاعاً . وها هو ذا الغشّ قد زال ، والكذب قد افتضح ، والغطاء قد انكشف . وها هو ذا العمل الّذى لم يرد به وجه الله تعالى قد ذهب هباءً منثوراً .

وتضرب الآية الكريمة التّالية فى المقابل مثل الّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى وتثبتاً من أنفسهم الهاشّة الباشّة للإنفاق فى سبيل الله تعالى المقبلة على الإنفاق بعزيمة وثبات ، المطمئنّة إلى أنّ إيمانها يزداد بفضل الله تعالى رسوخاً بالإنفاق ، ويقينها يزداد ثباتاً ، تضرب الآية مثل هؤلاء بالجنّة على الربوة الّتى أصابها مطرٌ شديد فآتت أكلها ضعفين . فإن لم يصبها مطر شديد كفاها الطّلّ وهو المطر الضّعيف . إنّ الوابل والطلّ مثلان لكثرة الإنفاق وقلّته، وإنّ ثواب كلّ من النّوعين من الإنفاق فى سبيل الله تعالى كبير .

وفى صيغة الاستفهام الإنكارى تسأل الآية الكريمة أيودّ أحدنا أن تكون له جنّة لها كلّ المقوّمات الذاتيّة من أشجار وزروع وأنهار وثمار ، الّتى تحمل صاحبها على التّشبّث بها ، وكلّ الأسباب الخارجيّة الّتى تدفع صاحبها إلى التّشبّث الأكثر بها ، من كون صاحبها قد أصابه الكبر وله ذرّيّة ضعفاء ، فيصيب هذه الجنّة إعصارٌ فيه نار فتحترق الجنّة؟ بطبيعة الحال لا يودّ أحدٌ منّا شيئاً كهذا . وهذه الآية الكريمة كما قال ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما ضربت مثلاً لرجلٍ يعمل بطاعة الله ثمّ بعث الله له الشّيطان فعمل بالمعاصى حتّى أغرق أعماله .

وترشد الآية الكريمة التّالية المؤمنين بأن ينفقوا من طيّبات ما كسبوا وممّا أخرج الله تعالى لهم من الحبوب والثّمار والمعادن وألاّ يقصدوا الخبيث والرّدىء منه ينفقون وهم الّذين لا يأخذونه إذا أعطوه إلاّ إذا أغمضوا أعينهم عن عيوبه وتساهلوا فيه . إنّ على عباد الله تعالى أن يعلموا أنّ الله تعالى الّذى يأمرهم بالإنفاق ، غنيٌّ عنهم لأنّ المال مالُ الله تعالى استخلفهم فيه ولهم ثواب الإنفاق ، محمودٌ فى جميع أفعاله وأقواله .

وإذا كانت الآية الكريمة السّابقة قد حذرت بطريق غير مباشر من الشّيطان الرّجيم الّذى يتربصّ بابن آدم الدّوائر على غرار تربصّه بذلك الرّجل الّذى عمل بطاعة الله تعالى أوّل عمره ، فأغواه آخر عمره فعمل بالمعاصى وأحبط أعماله الصّالحة السّابقة ، فإنّ الآية الكريمة تحذّر بصريح اللّفظ من الشّيطان الرّجيم الّذى يعد المنفقين فى سبيل الله تعالى

الفقر ويأمرهم بالفحشاء والله سبحانه وتعالى يعد المنفقين فى سبيله جلّ وعلا مغفرة منه وفضلاً والله واسعٌ عليم .

وإذا كان المال الّذى ينفق منه المؤمن هو ممّا آتاه الله تعالى إيّاه، فإنّ حسن التّصرّف بهذا المال وفى كلّ شئون الحياة وليد الحكمة الّتى يؤتيها الله تعالى من يشاء من عباده، وهي بمعنى الفقه فى كتاب الله تعالى العزيز وفى دينه جلّ وحلا والعمل بكلّ علم نافع . وهذا النّوع من العلم هو العلم اللّدنّي من الله تعالى . وتنعت الآية الكريمة الحكمة الّتى تحتفى بها الآية الكريمة فتذكرها بصريح اللّفظ للمرّة الثّانية بأنّ من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، وتبيّن أنّ أولى العقول الرّاجحة هم الّذين يتذكّرون ويتّعظون ويتّبعون أحسن القول الّذى يسمعون ألا وهو الذّكر الحكيم .

وتبيّن الآية الكريمة التّالية أنّ الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيءٌ فى الأرض ولا فى السّماء ، هل الإنفاق فى سبيل الله تعالى أم فى سبيل الشّيطان الرّجيم والنّفس الأمّارة بالسّوء ؟ وهل النّذر فى طاعةٍ أم في معصية ؟ إنّ الظّالمين الّذين يضعون الأمور في غير مواضعها ليس لهم من أنصار فى الدّنيا ولا فى الآخرة .

وبشأن إظهار الصّدقات وإخفائها تقرّر الآية الكريمة أنّ إبداء الصّدقات الّتى يراد بها وجه الله تعالى أمرٌ لاضير فيه ، ولكنّ إخفاءها هو الأفضل ، كما توجّه الآية الكريمة المتصدّق إلى وجوب إيتاء الصّدقة أصحابها الفقراء وهم الأصناف الثّمانية الّذين نصّت عليهم سورة التّوبة . إنّ ثواب الصّدقة يشمل تكفير بعض سيّئات المتصدّق . وتبيّن الآية الكريمة أخيراً أنّ الله سبحانه وتعالى خبيرٌ بحقيقة نوايا المتصدّق فى إبداء صدقته أو إخفائها مجاز كلّ واحد بما يستحقّ وفق نيّته وعمله .

وتتجاوز الآية التّالية فى مجال الصّدقة المسلمين إلى سواهم، فترشد إلى جواز الدّفع إلى غير المسلمين من صدقة التّطوّع وليس من أموال الزّكاة . ولا تدفع هذه الصّدقة لغير

المسلمين بشرط أن يسلموا ، إنّما تُدْفَعُ لهم لأنّهم محتاجون للنّفقة وللصّدقة . وتبيّن الآية الكريمة أنّ الهداية إلى اعتناق دين الإسلام إنّما تتمّ بإرادة الله تعالى ، كما تعّمق فى النّفوس وجوب كون الإنفاق إنّما يراد به وجه الله تعالى وكون ثواب الإنفاق عائداً على المنفق كاملاً غير منقوص .

وتخصّ الآية الكريمة التّالية من بين أصحاب الصّدقات بل تحضّ على الفقراء المجاهدين فى سبيل الله تعالى المرابطين على الثّغور الّذين حال العدوّ بينهم وبين أن يضربوا فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وامتلأت نفوسهم العزيزة بالإيمان تعفّفاً عن السّؤال فضلاً عن الإلحاف فيه والإلحاح . ولا تخفى حقيقة هؤلاء على المؤمن الألمعيّ الّذى ينظر بنور الله تعالى . ومع أنّ الآية الكريمة نزلت في فقراء المهاجرين المجاهدين في سبيل الله تعالي الّذين حالت قلّة عددهم بينهم وبين اتّخاذ الجهاد مصدراً لرزقهم ، فإنّها وراء ذلك شاملةٌ لكلّ المرابطين في سبيل الله تعالى الّذين حيل بينهم وبين الضّرب فى الأرض ابتغاء فضل الله تعالى . وتقرّر الآية الكريمة أنّ ما انفق المتصّدقون من مالٍ فإنّ الله سبحانه وتعالى عليمٌ به ومجازٍ عليه .

وتثنى الآية الكريمة التّالية على كلّ المنفقين فى سبيل الله تعالى ليلاً ونهاراً ، سرّاً وعلانية وتبيّن أنّ لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم يوم القيامة وفيما يستقبلون من أزمانٍ وأحوال ، ولاهم يحزنون على ما تركوا وراءهم في الحياة الدّنيا من أولادٍ وأهلٍ وخلّان وأموال . إنّ الآخرة خيرٌ من الأولى .

تحريم الرّبا والحثّ على الصّدقة

(الآيات ٢٧٥-٢٨١)

بعد أنّ حثّت الآيات الكريمات على الإنفاق في سبيل الله تعالى وبيّنت الثّواب الجزيل عليه تحوّل السّياق إلى تحريم الرّبا . وقد صوّرت أولى الآيات الكريمات آكلى الرّبا في أبشع الصّور المنفّرة عن الرّبا والتّعامل به . إنّهم لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلاّ كما يقوم الّذى يتخبّطه فى هذه الحياة الدّنيا الشّيطان من المسّ. إنّ الشّيطان الرّجيم بعد مسّ المصاب بيديه يركّله برجليه ، ومن ثمّ فالمجنون لا يستقيم في سيره ، وإنّ هذه هي حال المرابى وقد عبث به الشّيطان الرّجيم فأغراه بعصيان الله تعالى والتّعامل بالرّبا . إنّ المرابي الّذى أربى الله تعالى يوم القيامة الرّبا فى بطنه فغدا كالحبلى لايقوم من قبره ولا يتحرك إلاّ كما يقوم ويتحرّك الّذى مسّه الشّيطان بالجنون بيده وركله بقدمه . وتشير الآية الكريمة إلى زعم المشركين المضحك بكون البيع مثل الرّبا ، وليس العكس، فالرّبا فى زعمهم هو الأصل . وتبيّن الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى أحلّ البيع وحرّم الرّبا ، وتقرّر أن الإسلام يجبّ ما قبله فمن تاب عن الرّبا بعد إعلان الإسلام تحريم الرّبا فله ما سلف ولا يؤخذ منه المال الّذى أخذ عن طريق الرّبا من قبل، وأمره إلى الله تعالى إن شاء ثبّته على الحقّ وإن شاء أعاده أدراجه إلى التّعامل بالرّبا. إنّ من عاد إلى الرّبا فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون .

وتقرّر الآية الكريمة التّالية أنّ الله سبحانه وتعالى يمحق الرّبا ويُذْهب بركته بينما يُرْبى ثواب الصّدقات وينميّه، ويبارك فى الأموال ذاتها الّتي يُخْرج أصحابها منها الصّدقات . وإذا كان زوال البركة من نصيب مال المرابى في هذا الحياة الدّنيا فإنّ أعماله الصّالحة عن طريق هذا النّوع الخبيث من الكسب يمحقها الله تعالى هي الأخرى في الآخرة . وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله تعالى لا يحب كلَّ كفور القلب أثيم القول والفعل. ويُفْهَمُ ضمناً حبُّ الله تعالى للمؤمنين المتّقين الّذين يتحوّل السّياق إلى الحديث عنهم فى الآية الكريمة مبيّناً أهم نعوتهم من إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة ، وهما عماد الأعمال الصّالحة الّتى قاموا بها . وهؤلاء لاخوف عليهم فيما يستقبلون من أزمانٍ وأحوال وما يستدبرون .

ولمّا كان بعض الصّحابة يظنّ أنّ تحريم الرّبا يعنى إنشاء عقد ربويّ جديد ولا يشمل ما بقى فى الذّمّة من الرّبا قبل التّحريم ، فقد أمرت الآية الكريمة التّالية المؤمنين بأن يتّقوا الله تعالى ويتركوا ما بقى من الرّبا إن كانوا مؤمنين . ومعروفٌ أنّ العبرة بعموم اللّفظ لابخصوص السّبب فعلى كلّ عباد الله تعالى أن يتّقوا الله تعالى وأن يتركوا الرّبا أساساً إن كانوا مؤمنين حقاً . أمّا إذا لم يفعل المؤمنون ذلك وتعاملوا بالرّبا فليكونوا على علم تامٍ واستيقان بحربٍ من الله تعالى ومن رسوله الكريم . والملاحظ أنّ الرّبا هو الذّنب الوحيد الّذى أعلن القرآن الكريم حرب الله تعالى وحرب رسوله الكريم على المتعاملين به . أمّا إذا امتنع المؤمنون عن التّعامل بالرّبا امتثالاً لأوامر الله تعالى ، أو تابوا عن التّعامل بالرّبا وتركوا الكسب الحرام منه ، فإنّ الإسلام يضمن لأصحاب الأموال رءوس أموالهم كاملة غير منقوصة . إنّهم من ناحية لايظلمون الآخرين بأخذ زيادة على رأس المال ولا يظلمهم الآخرون بالنّقصان عن رأس المال .

وترشد الآية الكريمة التّالية إلى أسمى مظاهر السّلوك الإنسانّي مع المدين المعسر . إنّ الآية الكريمة ترشد أوّلاً إلى إفساح الأجل للمدين ابتغاء وجه الله تعالى . ويلاحظ أنّ الإفساح فى الأجل دون أيّ زيادة فى المال ، وهو امتداد لعدم الزّيادة في المال ابتداءً ، في مقابل أكل الرّبا فى الجاهليّة أضعافاً مضاعفة مقابل الإفساح فى الأجل مرّة بعد مرّة . ولا تكتفى الآية الكريمة بهذه المرتبة من السّموّ السّلوكيّ ، إنّما تتجاوزه إلى أعلى القمم الّتي يمكن لعقلٍ بشريّ أن يتصوّرها ألا وهي التّنازل عن المدين المعسر عن بعض الدّين أو عن كلّ الدّين . وتنبّه الآية الكريمة إلى فضل الدّرجة التّالية هذه وإلى جزيل الثّواب عليها من الله تعالى ، وليت العباد يعلمون ذلك .

« وأن تصدّقوا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون » .

وتردف أسمى صور التّعامل مع المدين المعسر ، ويتوّج النّهي عن الرّبا والحثّ على الصّدقات بآخر آيات القرآن نزولاً ، والّتي تأمر العباد بأن يتّقوا يوم القيامة الّذى يرجعون فيه إلى الله تعالى والّذى توفّى فيه كلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظْلمون بنقص حسنات ولا زيادة سيّئات .

الدَّين

(آل عمران ٢٨٢ - ٢٨٣)

بعد أن نهت الآيات الكريمات عن الرّبا وأرشدت إلى إنظار المدين المعسر إلى ميسرة ، بل إلى التّصدق عليه بإسقاط بعض الدّين عنه أو كلّ الدّين وبعد أن وعدت المتصدّق بالثّواب الجزيل وأمرت بتقوى الله تعالى ، جاءت آيتان كريمتان فى الدَّين ، تعتبر أولاهما أطول آي الذّكر الحكيم . وبتدبّر الآيتين الكريمتين اللّتين تتحدّث إحداهما عن الدّين وكتابته وملابسات الدّين والكتابة وما إلى ذلك ، وتتحدّث أخراهما عن الرّهن وعن ائتمان الدّائن المدين فلم يلجأ إلى الكتابة ولا إلى الرّهن ، نستطيع أن نتبينّ عناية الإسلام الفائقة بالمال وبضمان الحقوق . إنّ السّياق بقدر عنايته بالفقراء والمحتاجين وضمان عدم وصول شيءٍ من الظّلم إليهم ، تكون عنايته بضمان وصول الحقوق إلى أصحابها في كلّ الأحوال مِنْ دينٍ وبيع وما إليهما . وما الّذى يمكن أن يقال عن آيتي الدَّين بأكثر من كونهما لم تتركا شاردةً ولا واردة من ملابسات الدّين إلاّ وقد أحاطتا بها ، وبذلك هما تترجمان في هذا المجال معنى قوله تعالى في آيةٍ كريمة سابقة : « لاتظلمون ولا تظلمون » وقد جاء في الحديث النّبوي الشّريف : من قُتِل دون ماله فهو شهيد . وقال ﷺ : إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم .

خواتيم سورة البقرة

(الآيات ٢٨٤-٢٨٦)

جاء في صحيح مسلم أنّ المصطفى ﷺ بشّره مَلَكٌ من الملائكة بحضرة جبريل عليه السّلام بأنّ الله تعالى آتاه نورين لم يؤتَهُما نبيٌّ قبله عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة . « لن تقرأ بحرفٍ منهما إلاّ أعطيته » والآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ لله تعالى ما في السّماوات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً ، وأنّ ما نبدى فى أنفسنا وما نخفيه سيحاسبنا الله تعالى به فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله على كلّ شيءٍ قدير . وقد شقّت هذه الآية الكريمة على الصّحابة كثيراً لأنّهم فهموا أنّها تشمل الخواطر ووساوس النّفس ممّا لايمكن دفعه . وقد شاءت رحمة الله تعالى أن ترفع عن المؤمنين هذا الإصر فنزل قوله تعالى : « لايكلّف الله نفساً إلاّ وسعها .. » الآية . هذا إلى العديد من الأحاديث النّبويّة الشّريفة الّتي يتجلّى فيها فضل الله تعالى على هذه الأمّة ومن ذلك ما رواه الجماعة في كتبهم السّتّة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله تجاوز لى عن أمّتى ما حدّثت به أنفسها ما لم تكلّم أو تعمل .

وإنّ الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم حينما شقّ عليهم محاسبة الله تعالى لهم على ما أبدوا فى أنفسهم أو أخفوا ، وعبّروا للمصطفى ﷺ عن إشفاقهم الشّديد من هذه المحاسبة ، أمرهم المصطفى ﷺ بأن يقولوا سمعنا وأطعنا ، أي سمعنا قولك يا الله وأطعنا أمرك ففعل الصّحابة ذلك وأنزل الله تعالى الآية الكريمة التّالية الّتي تتضمّن أركان الإيمان مبيّنةً أنّ المصطفى ﷺ رسول ربّ العالمين قد آمن بالقرآن الكريم المنزل عليه من ربّه كما آمن بذلك المؤمنون . وقد آمن المصطفى ﷺ والمؤمنون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وهم لايفرّقون بين أحدٍ من رسله ويقولون : سمعنا وأطعنا . ويسألون الله سبحانه وتعالى المغفرة ويؤمنون باليوم الآخر . وحينما فعل المؤمنون ما جاءت به هذه الآية الكريمة من معان ، أنزل الله تعالى التّخفيف بشأن الخواطر ووساوس النّفس وذلك فى قوله تعالى : لايكلّف الله نفساً إلاّ وسعها .. وهي آخر آي سورة البقرة الكريمة

ويلاحظ حديث الآية الكريمة عن القرآن الكريم والكتب السّماويّة السّابقة ، وذلك على غرار حديث السّورة الكريمة فى أوّلها عن القرآن الكريم والكتب السّماوية السّابقة كذلك ، فثمّة ترابطٌ وثيق بين أوّل السّورة الكريمة وآخرها . وهذه الظّاهرة تتجلّى فى كلّ سور القرآن الكريم الّتي تتحدّث عن الوحي السّماويّ في أوّلها ، وذلك مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم .

فإذا تحوّلنا إلى آخر السّورة الكريمة تبيّنا الشّىء الكثير من فضل الله تعالى ورحمته بعباده . إنّه جلّ وعلا لايكلّف نفساً إلاّ وسعها ، وقد عرفنا سبب نزول الآية الكريمة . والوُسْع بمعنى ما تتّسع له قوّة الإنسان وتظلّ لديه من قوّته بقيّة . ويجيء بشأن كسب الحسنات القول « لها ما كسبت » إنّ الجارّ والمجرور يدلاّن على الفرح بالحسنات والسّرور بإضافتها إلى صاحبها . وإنّ جملة كسبت توحى بسهولة كسب الحسنات . بينما يجيء بشأن اكتساب السّيّئات القول «وعليها ما اكتسبت » إنّ الجارّ والمجرور يدلاّن على عبء حمل السّيّئات . كما أنّ جملة اكتسب توحى بالمشقّة الّتي يكابدها عاملو السّيّئات لأنّهم يخرقون حجب النّواهي . ويلقّن ربّ العزّة عباده مجموعة من الدّعوات تبدأ من الخطوة الّتى تلى تجاوز ربّ العزّة عن الخواطر ووساوس النّفس الّتى شملتها أولى جزئيّات الآية الكريمة . فثمّة النّسيان ، يليه الخطأ الّذى يرتكبه المرء غير قاصد ارتكابه . وثمّة الدّعاء بألاّ يحمل الله تعالى على المؤمنين إصراً كما حمله على السّابقين ، والدّعاء بألاّ يحمّل الله تعالى المؤمنين ما لاطاقة لهم به . إنّ الطّاقة بمعنى ما يطيقه الإنسان مستُنْفِداً كل مجهوده . وإنّ رب العزّة لايحّملنا ما لاطاقة لنا به ولكن يكلّفنا ما هو فى حدود وسعنا . ويقابل الدّعوات الثّلاث دعوات ثلاث مبنيّة عليها ومرتّبة . إنّ من آثار عدم المؤاخذة بالنّسيان والخطأ العفو ، ومن آثار عدم حمل الإصر علينا المغفرة ، ومن آثار عدم التّحميل ما لاطاقة لنا به الرّحمة . قال تعالى : « لايكلّف الله نفساً إلاّ وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحّملنا ما لاطاقة لنا به واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

التفسير

تفضيل الله تعالى بعض الرسل
والدعوة إلى التوحيد والأدلة على البعث
(الآيات ٢٥٣ - ٢٦٠)

﴿٢٥٣﴾ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

أشار السّياق مِنْ ذى قبل إلى اصطفاء الله تعالى طالوت ملكاً على الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السّلام ، وإلى اصطفاء داود عليه السّلام – الّذى قتل بعونٍ من الله تعالى جالوت – بالملك والحكمة والعِلْم ، إضافةً إلى نعمة النّبوة ، ونصّت آخر آيات الجزء الثّانى على كون محمّد بن عبد الله ﷺ من المرسلين . وتبادر أولى آيات الجزء الثّالث إلى اصطفاء الله تعالى بعضَ المرسلين بشيءٍ يفوق ما حَظِي به آخرون . وتنصّ الآية الكريمة على كليم الله تعالى ، وهو موسى عليه السّلام بإجماع المفسّرين[1] على الرّغم من اشتراك غيره معه عليه الصّلاة والسّلام فى هذه الصّفة . فقد صحّ فى حديث الإسراء حيث ارتقى رسول الله ﷺ إلى مقامٍ تأخّر عنه جبريل أنّه جرت بينه صلّى الله عليه وسلّم وبين ربّه تعالى مخاطبات ومحاورات . فلا يبعد أن يدخل تحت قوله : « منهم مَنْ كلّم الله » موسى وآدم ومحمّد ﷺ لأنّه قد ثبت تكليم الله لهم[2] وتنصّ على عيسى عليه السّلام بالاسم الصّريح : « منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجاتٍ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات » .

---

(١) تفسير القرطبيّ ١٠٧٢ وتفسير ابن كثير ١ / ٣٠٤ والجلالين والكشّاف ١ / ٢٩٠ والبحر المحيط ٢/٢٧٣ .

(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٧٣

وإنّما خصّت الآية الكريمة كلاً من موسى وعيسى عليهما السّلام بالذّكر لأنّ لكلّ منهما كتاباً أوحاه الله تعالى إليه، ولا زال موجوداً فى صورةٍ من الصّور . وإذا عرفنا أنّ المقصود فى رأي جمهور العلماء بالقول : « ورفع بعضهم درجات » محمّد بن عبد الله ﷺ[1] : « قال النّحّاس : بعضهم هنا على قول ابن عبّاس والشّعبيّ ومجاهد محمّد ﷺ . قال ﷺ : بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ونُصِرْت بالرُّعب مسيرة شهرٍ وأحلّت لي الغنائم وأعطيت الشّفاعة . ومن ذلك القرآن وانشقاق القمر وتكليمه الشّجر وإطعامه الطّعام خلقاً عظيماً من تُمَيْرات ، ودُرور شاة أمّ معبد بعد جفاف »[2] إذا عرفنا ذلك وعرفنا أنّ أقرب المرسلين زمناً من المصطفى ﷺ هو عيسى ابن مريم عليه السّلام فليس بينهما عليهما الصّلاة والسلام نبيّ ، وعرفنا أنّ رسالة عيسى عليه السّلام مكملةٌ لرسالة موسى عليه السّلام إلى بنى إسرائيل ، وهاهي ذى سورة الأحقاف تشير إلى هذه الحقيقة في حديثها عن الجنّ الّذين صرفهم الله تعالى إلى النّبيّ محمّد ﷺ كي يستمعوا القرآن الكريم والّذين تجاوزوا فى حديثهم عن القرآن الكريم ما أوحى الله تعالى به إلى عيسى عليه السّلام إلى ما أوحى الله تعالى به إلى موسى عليه السّلام وذلك فى القول[3] : « قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدى إلى الحقّ وإلى طريقٍ مستقيم » إذا عرفنا كلّ ذلك أدركنا شيئاً من الحكمة في الإشارة إلى المصطفى ﷺ باعتباره واسطة العقد الّذى ينظم في جانبيه كلاً من موسى وعيسى عليهما وعلى كلّ أنبياء الله تعالى ورسله أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم . يقول أبو حيّان[4] : « ولمّا كان نبيّنا محمّد ﷺ هو الّذى أوتي ما لم يؤته أحدٌ من كثرة المعجزات وعِظَمها وكان المشهودَ له بإحراز قصبات السَّبق حفّ ذكره بذكر هذين الرّسولين العظيمين ليحصل لكلّ منهما بمجاورة ذكره الشّرف إذ هو بينهما واسطة عقد النبوّة فينزل منهما منزلة واسطة العقد الّتى يزدان بها ما جاورها من اللّالىء » وبدىء بموسى عليه السّلام لتقدّمه فى الزّمان وجاء في الحديث الصّحيح ... وإنّ أولى

---

(١) تفسير القرطبيّ ص ١٠٧٢ والكشّاف ١/ ٢٩٠ والجلالين والبحر المحيط ٢/ ٢٧٣ .

(٢) تفسير القرطبيّ ص ١٠٧٢ .

(٣) سورة الأحقاف ٣٠ .

(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٧٤ .

النّاس بابن مريم لأنا إذ ليس بيني وبينه نبيّ[1] ووراء ذلك يحتمل اللّفظ « ورفع بعضهم درجات » أن يراد به محمّد ﷺ وغيره ممّن عظمت آياته ويكون الكلام تأكيداً[2] .

وقد ابتدأت الآية الكريمة بالقول « تلك » : « وهو اسم إشارة للمفردة المؤنّثة في البُعْد ولم يقل : ذلك . مراعاةً لتأنيث لفظ الجماعة[3] « الرّسل » وجمع التّكسير حكمه حكم الواحدة المؤنّثة فى الوصف وفى عود الضّمير وفي غير ذلك[4] ومراعاةً لبعد ما بين الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم من الأزمان وبين المصطفى ﷺ[5] .

لقد نصّت الآية الكريمة على تفضيل الله تعالى بعض الرّسل على بعض، وجاء فى سورة الإسراء[6] قوله تعالى : « وربّك أعلم بمن فى السّماوات والأرض ، ولقد فضّلنا بعض النّبيّين على بعضٍ وآتينا داود زبورا » وقد استطرد القرطبيّ[7] إلى القول : « والأحاديث ثابتةٌ بأن النّبيّ ﷺ قال : لا تخيّروا بين الأنبياء . ولا تفضّلوا بين أنبياء الله رواه الأئّمة الثّقات . أي لا تقولوا فلانٌ خيرٌ من فلان ، ولا فلانٌ أفضل من فلان . يقال : خيّر فلان بين فلانٍ وفلان . وفضّل مشدّداً إذا قال ذلك » ويقول أبو حيّان[8] : « وهكذا جاء في الحديث : أنا سيّد ولد آدم . وقال : لاتفضّلونى على موسى . وقال : لاينبغي لأحدٍ أن يقول : أنا خير من يونس بن متّى » وقد استحسن القرطبيّ رأياً فى المراد بالتفضيل وبالامتناع عن التّفضيل يقول[9] : « قلت : وأحسن مِنْ هذا قول من قال : إنّ المنع من التّفضيل إنّما هو من جهة النّبوة الّتى هي خصلةٌ واحدة لاتفاضل فيها ، وإنّما التّفضيل فى زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات . وأمّا النّبوة في نفسها فلا تتفاضل ، وإنّما تتفاضل بأمورٍ أُخَر زائدةٍ عليها ، ولذلك منهم رسل وأولو عزمٍ ومنهم مَنِ اتُّخذ خليلاً ، ومنهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات . قال الله تعالى : ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعضٍ وآتينا داود زبورا . وقال : تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض » .

---

(١) الرّسالة التدمريّة لابن تيميه ص ٥٣ .
(٢) تفسير القرطبيّ ١٠٧٣ وانظر الكشّاف ١/ ٢٩٠ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١٠٦٩ .
(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٧٢ .
(٥) البحر المحيط ٢ / ٢٧٢ .
(٦) آيـة ٥٥ .
(٧) تفسير القرطبيّ ١٠٦٩ .
(٨) البحر المحيـط ٢ / ٢٧٣ .
(٩) تفسير القرطبيّ ١٠٧٠ .

إنّ الآية الكريمة تبيّن أنّ رسل الله تعالى قد فضّل الله تعالى بعضهم على بعض . ومعروف أنّ أكبر نعم الله تعالى على عبدٍ من عباده نعمتا الرّسالة والنّبوة . إنّهما محض فضلٍ من الله تعالى . وقد جاء فى سورة النّساء[1] قوله تعالى : « ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّديقين والشّهداء والصّالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً » . ومن مظاهر فضل الله تعالى على موسى عليه السّلام أن كلّمه الله تعالى . وقد قال عزّ من قائل[2] : « وكلّم الله موسى تكليماً » وقال[3] : « وما كان لبشرٍ أن يكلّمه الله إلاّ وَحْياً أو مِنْ وراء حجابٍ أو يُرْسِلَ رسولاً فيوحِيَ بإذنه ما يشاء إنّه عليٌّ حكيم » ومن مظاهر فضل الله تعالى على عيسى عليه السّلام أن آتاه الله تعالى الآيات البيّنات والحجج الواضحات والدّلائل القاطعات على صحّة ما جاء بنى إسرائيل به من أنّه عبدالله ورسوله إليهم . ومن الآيات الكريمات الّتى نصّت على معجزاته ﷺ هذه الآية الكريمة التّاسعة والأربعون من سورة آل عمران. قال تعالى : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنّى قد جئتكم بآيةٍ من ربّكم أنّى أخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إنّ فى ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين » وكذلك الآية الكريمة العاشرة بعد المائة من سورة المائدة . وقد أيّد الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السّلام بروح القدس ، جبريل عليه السّلام[4] الّذى يسير معه حيث سار[5] .

ومع أنّ الله سبحانه وتعالى إنّما يبعث أنبياءه ورسله وينزل كتبه من أجل أن يزول الاختلاف بين عباد الله تعالى ، فالعجيب فى أمر أتباع الرّسل أنّهم يختلفون بل يقتتلون من بعد ما جاءتهم البيّنات فعلاً . وإنّ ما يحدث من اختلاف واقتتال إنّما يتّم بعلم الله تعالى : « ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر . ولو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » من توفيق من شاء وخِذْلان من شاء[6] .

---

(١) الآيــة ٦٩ ، ٧٠ .
(٢) سورة النّساء ١٦٤ .
(٣) سورة الشّورى ٥١ .
(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٤ .
(٥) الجــلالين .
(٦) الجــلالين .

﴿٢٥٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لمّا ذكر أنّ الله تعالى أراد الاختلاف إلى مؤمن وكافر وأراد الاقتتال وأمر به المؤمنين ، وكان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانة عليه أمر تعالى بالنّفقة من بعض ما رزق فشمل النّفقة فى الجهاد . وهي وإن لم ينصّ عليها مندرجة في قوله : أنفقوا وداخلة فيها دخولاً أوّليًّا إذ جاء الأمر بها عقب ذكر المؤمن والكافر واقتتالهم[1] .

وبشأن الميدان الأوّل للأمر بالإنفاق فى الآية الكريمة « قال الحسن : هي الزّكاة المفروضة وقال ابن جريج وسعيد بن جبير : هذه الآية تجمع الزّكاة المفروضة والتّطوّع . قال ابن عطيّة : وهذا صحيح . ولكن ما تقدّم من الآيات في ذكر القتال وأنّ الله يدفع بالمؤمنين في صدور الكافرين يترجّح منه أنّ هذا النّدب إنّما هو فى سبيل الله . ويقوّى ذلك فى آخر الآية قوله : والكافرون هم الظّالمون . أي فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق الأموال .

قلت : وعلى هذا التّأويل يكون إنفاق الأموال مرّة واجباً ومرّةً ندباً بحسب تعيّن الجهاد وعدم تعيّنه »[2] .

ونحن نرى رأي ابن جريج وسعيد بن جبير في كون الأمر بالإنفاق شاملاً لكلّ من الزّكاة المفروضة والتّطوّع ، ويدخل بقوّةٍ في ذلك الإنفاق جهاداً في سبيل الله تعالى .

لابيعٌ فيه : أي لافدية فيه لأنفسكم من عذاب الله . وذكر لفظ البيع لما فيه من المعاوضة وأخذ البدل[3] وقيل : لابيع فيه للأعمال فتكتسب[4] ويقول ابن كثير[5] :

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٢٧٥ .
(٢) تفسير القرطبيّ ١٠٧٤ .
(٣) البحر المحيط ٢ / ٢٧٦ .
(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٧٦ وانظر تفسير القرطبيّ ١٠٧٤ والجلالين .
(٥) ١ / ٣٠٤ .

« أي لايباع أحدٌ من نفسه ولا يفادى بمالٍ لو بذله ولو جاء بملء الأرض ذهباً » .

والُخلَّة : الصّداقة كأنهّا تتخلّل الأعضاء أي تدخل خلالها . والخلّة الصّديق[1] والخلّة ، خالص المودّة مأخوذة من تخلّل الأسرار بين الصّديقين[2] .

ولا شفاعة : اللّفظ عام والمراد الخصوص، أي ولا شفاعة للكفّار . وقال تعالى : فما لنا من شافعين ولا صديق حميم . أو ولا شفاعة إلاّ بإذن الله . قال تعالى : ولا تنفع الشّفاعة عنده إلاّ لمن أذن له . وقال : ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى[3] وحقيقة الشّفاعة رحمة منه تعالى شرّف بها الّذى أذن له فى أن يشفع[4] ويقول الزّمخشريّ[5] : « وإن أردتم أن يحطّ عنكم ما فى ذمتّكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً لكم في حطّ الواجبات لأنّ الشّفاعة ثمّة في زيادة الفضل لاغير » .

إنّ من أهمّ ما يلفت الانتباه بشأن إعجاز الآية الكريمة التّرتيب العجيب للأمور الثّلاثة البيع بمعنى الفداء، والخلّة والشّفاعة . إنّ ثمّة تدرّجاً من القريب إلى البعيد فالأبعد، ومن السّهل إلى الصّعب فالأصعب. لقد جرت العادة في حقّنا نحن البشر فى هذه الحياة أنّ ما أمكن الحصول عليه بالمال الّذى نملكه بذلنا فى سبيله المال ، بما فى ذلك افتداء أنفسنا . إنّ المال الموجود أقرب مبذولٍ وأهونه خاصّةً حينما يكون ثمّة حاجة لافتداء الإنسان نفسه .

ولكنّ ثمّة أموراً لايمكن الحصول عليها بالمال أصلاً وإن كان المال موجوداً وكان كثيراً . وفي هذه الحال يكون اللّجوء إلى الخلّة وإلى الصّداقة ، وإلى النّسب والقرابة .

وإنّ ثمّة أموراً أبعد منالاً وأصعب مرتقى لاتجدى معها المودّة ولا القرابة والنّسب فضلاً عن المال والنّشب. وهنا يكون الإنسان محتاجاً إلى الشّفيع ذى المنزلة الرّفيعة عند من يرْجى منه قبول شفاعة الشّفيع ، وفى هذه الحال يكون الإنسان شفعاً وزوجاً ، أي

---

(١) البحر المحيط ٢/٢٧١ .
(٢) تفسير القرطبي ١٠٧٤ .
(٣) البحر المحيط ٢ / ٢٧٦ .
(٤) تفسير القرطبي ١٠٧٤ .
(٥) الكشـاف ١ / ٢٩١ .

معه آخر يشفع له بعد أن كان وِتْراً وواحداً ، بمعنى أن ينضمّ جاه الشّفيع إلى المشفَّع فيه عند من يُرْجى منه قبول الشّفاعة وهو المشفِعّ (بكسر الفاء) .

إنّ هذه المعاني المتدرّجة ، الّتي تعارف عليها النّاس فى هذه الحياة ، هي الّتي تعمّقها الآية الكريمة وتنفيها يوم القيامة الّذى لاينفع فيه مالٌ ولا صداقة ولا شفاعة في حقّ الكافرين الظّالمين بخاصّة . إنّ شيئاً من هذه الأشياء النّافعة فى الدّنيا غير نافع في الآخرة . أمّا الّذى ينفع الإنسان يوم القيامة فأعماله الصّالحة الّتي قدّمها فى هذه الحياة الدّنيا . والآية الكريمة تأمر المؤمنين الّذين ينتفعون من تعاليم الإسلام ، وعمادها القرآن الكريم وسنّة المصطفى ﷺ ، أن ينفقوا في السّرّ والعلن ممّا رزقهم الله تعالى من الحلال الطيّب ، من قبل أن يأتي يومُ القيامة الّذى لا فداء فيه أصلاً ولا مال ، ولا صداقة ولا شفاعة . وتقرّر الآية الكريمة أنّ الكافرين المشركين مع الله تعالى غيره ، والجاحدين نعمه جلّ وعلا وآلاءه ، هم الظّالمون حقّا ، وهم الّذين يستحقون العذاب الأليم .

﴿٢٥٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ

« مناسبة هذه الآية لما قبلها أنّه تعالى لمّا ذكر أنّه فضّل بعض الأنبياء على بعض ، وأنّ منهم من كلّمه وفُسّر بموسى عليه السّلام ، وأنّه رفع بعضهم درجات وفُسّر بمحمّد ﷺ ، ونصّ على عيسى عليه السّلام ، وتفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التّابع ، وكانت اليهود والنّصارى قد أحدثوا بعد نبيّهم[1] بدعاً في أديانهم وعقائدهم ونسبوا الله تعالى إلى ما لايجوز عليه ، وكان رسول الله ﷺ بُعث إلى النّاس كافّة فكان منهم العرب ، وكانوا قد اتّخذوا من دون الله آلهةً وأشركوا فصار جميع النّاس المبعوث إليهم ﷺ على غير استقامةٍ فى شرائعهم وعقائدهم ، وذكر تعالى أنّ الكافرين هم الظّالمون وهم الواضعون الشّىء غير مواضعه ، أتى بهذه الآية العظيمة الدّالّة على إفراد الله بالوحدانيّة والمتضمّنة صفاته العلا من الحياة والاستبداد بالملك واستحالة كونه محلاً للحوادث وملكه لما في السّماوات والأرض وامتناع الشّفاعة عنده إلا بإذنه وسعة علمه وعدم إحاطة أحد بشىء من علمه إلاّ بإرادته وباهر ما خلق من الكرسيّ العظيم الاتّساع ووصفه بالمبالغة في العلوّ والعظمة إلى سائر ما تضمّنته من أسمائه الحسنى وصفاته العلا ، نبّههم بها على العقيدة الصّحيحة الّتى هي محض التّوحيد وعلى طرح ما سواها »[2] .

ممّا سبق نستطيع أن نتبيّن بعض أسباب فضل هذه الآية الكريمة وكونها تعدل ثلث القرآن فقد ورد بذلك حديث ذكره ابن عطيّة[3] إنّها تضمّنت التّوحيد والصّفات العُلى ، والتّوحيد ثلث القرآن . يقول ابن تيمية[4] : « ... ذُكر فى الحديث أنّ :

---

(١) في الأصل « نبيّهم » .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٧٦ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١٠٧٨ .
(٤) الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ص ٩ .

قُلْ هو الله أحد، تَعْدل ثُلُث القرآن[1] لتضمّنها الثّلث الّذى هو التّوحيد . لأنّ القرآن توحيد وأمر وقَصص » .

وما أكثر فضل هذه الآية الكريمة وما أكثر حديث العلماء عن ذلك الفضل . يقول على سبيل المثال القرطبيّ في تفسيره[2] : « هذه آية الكرسيّ سيّدة آي القرآن وأعظم آية ... ونزلت ليلاً ودعا النبيّ ﷺ زيداً فكتبها ... وروى الأئمّة عن أبيّ بن كعب قال . قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر أتدرى أيُّ آيةٍ منْ كتاب الله معك أعظم . قال ، قلت : الله ورسوله أعلم . قال : يا أبا المنذر أتدرى أيُّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم قال قلت : الله لا إله ألاّ هو الحيّ القيّوم فضرب فى صدرى وقال : ليَهْنِك[3] العِلْم يا أبا المنذر » .

جاء في صحيح البخاريّ في كتاب فضائل القرآن وفي كتاب الوكالة وفي صفة إبليس « عن أبى هريرة قال : وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتانى آتٍ فجعل يحثو من الطّعام فأخذته وقلت : لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ قال : دعنى فإنّي محتاج وعلىّ عيالٌ ولي حاجةٌ شديدة . قال : فخلّيت عنه ، فأصبحت فقال النّبيّ ﷺ يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قال : قلت يا رسول الله شكا حاجةً شديدة وعيالاً فرحمته وخلّيت سبيله قال : أما إنّه قد كذبك وسيعود . فعرفت أنّه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنّه سيعود . فرصدته فجاء يحثو من الطّعام فأخذته فقلت لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ قال : دعنى فإنّي محتاج وعلىّ عيال ولا أعود . فرحمته وخلّيت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت : يا رسول الله شكا حاجةً وعيالاً فرحمته وخلّيت سبيله قال : أما إنّه قد كذبك وسيعود فرصدته الثّالثة فجاء يحثو من الطّعام فأخذته فقلت لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر

---

(١) رواه البخاريّ في باب فضائل القرآن ، باب فضل قل هو الله أحد . ولفظه : فقال رسول الله ﷺ : والّذى نفسى بيده إنّها لتعدل ثلث القرآن .

(٢) ص ١٠٧٦ وانظر تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٤ .

(٣) هذا دعاء من التّهنئة وأصله ليهنئك وليهنيك . جاء في لسان العرب « هنأ » : « والتّهنئة خلاف التّعزية . يقال : هَنَأه بالأمر والولاية هَنْأ وهنّأه تهنئةً وتهنيئاً إذا قُلْتَ له ليهنئك . والعرب تقول : ليهنْك الفارسُ بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة » .

ثلاث مرّات أنّك تزعم أنّك لاتعود ثمّ تعود فقال : دعنى أعلّمك كلماتٍ ينفعك الله بها . قلت : وما هي ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ : الله لا إلٰه إلاّ هو الحيّ القيّوم حتّى تختم الآية فإنّك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتّى تصبح فخلّيت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله زعم أنّه يعلّمنى كلماتٍ ينفعنى الله بها فخلّيت سبيله قال : ما هي ؟ قال : قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ من أوّلها حتّى تختم الآية : الله لا إلٰه إلاّ هو الحيّ القيّوم . وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتّى تصبح وكانوا أحرص شيءٍ على الخير . فقال النّبيّ ﷺ : أما إنّه صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قلت لا . قال ذاك شيطان »[1] .

وهذه الآية خمسون كلمة[2] وقال ابن عبّاس : أشرف آية فى القرآن آية الكرسيّ . قال بعض العلماء : لأنّه يكرّر فيها اسم الله تعالى بين مضمرٍ وظاهرٍ ثمان عشرة مرّة[3] وهذه الآية تسمّى آية الكرسيّ لذكره فيها . وثبت في صحيح مسلم من حديث أُبيّ أنّها أعظم آية ..... وورد أنّها تعدل ثلث القرآن . وورد أنّها ما قرئت في دار إلاّ اهتجرتها الشّياطين ..... وورد أنّ سيّد الكلام القرآن . وسيّد القرآن البقرة . وسيّد البقرة آية الكرسيّ . وفضّلت هذا التّفضيل لما اشتملت عليه من توحيد الله وتعظيمه وذكر صفاته العُلا ولا مذكور أعظم من الله فذكره أفضل من كلّ ذِكْر[4] .

الحيّ : اسم من أسمائه الحُسْنى يُسَمَّى به[5] بمعنى الدّائم البقاء[6] وقال قتادة : الحيّ الّذى لايموت . وقال السّديّ : المراد بالحيّ الباقى[7] والحيّ وصف لِمَنْ قامت به الحياة . وهو بالنّسبة إلى الله تعالى من صفات الذّات . حيّ بحياة لم تزل ولا تزول . وفسّر هنا بالباقى[8] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٦ .
(٢) تفسير القرطبيّ ١٠٧٨ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١٠٧٩ وانظر البحر المحيط ٢/٢٨٤ .
(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٧٦ وانظر الكشّاف ١ / ٢٩٣ .
(٥) تفسير القرطبيّ ١٠٧٩ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير القرطبيّ ١٠٧٩ .
(٨) البحر المحيط ٢ / ٢٧٧ .

القيّوم : قرأ الجمهور القيّوم على وزن فيعول أصله قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسّكون فقلبت الواو ياءً وأُدْغمت فيها الياء[1] وقالوا فيعول من صيغ المبالغة[2] ومعناه أنّه قائم على كلّ شيءٍ بما يجب له بهذا فسّره مجاهد والرّبيع والضّحّاك. وقال ابن جبير : الدّائم الوجود . وقال ابن عبّاس : الّذى لايزول ولا يحول . وقال قتادة : القائم بتدبير خلقه . وقال الحسن : القائم على كلّ نفسٍ بما كسبت[3] وقيل : المبالغ في القيام بتدبير خلقه[4] .

والسّنة : النّعاس فى قول الجميع . والنُّعاس ما كان من العين فإذا صار في القلب صار نوماً[5] ويقول أبو حيّان[6] : « السّنة والوسن قيل النُّعاس وهو الّذى يتقدّم النّوم من الفتور . قال الشّاعر :

وسنان أقصده[7] النّعاس فَرَنَّقَتْ فى عينه سنةٌ وليس بنائم

ويبقى مع السّنة بعض الذّهن . والنّوم هو المستثقل الّذى يزول معه الذّهن. وهذا البيت يظهر منه التّفرقة بين السّنة والنّوم .... قال المفضّل : السّنَةُ ثقل فى الرّأس والنّعاس في العين والنّوم في القلب » .

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم : قال مجاهد : ما بين أيديهم الدّنيا . وما خلفهم الآخرة. قال ابن عطيّة : وكلّ هذا صحيح في نفسه لابأس به ، لأنّ ما بين اليد هو كلّ ما تقدّم الإنسان ، وما خلفه هو كلّ ما يأتى بعده . وبنحو قول مجاهد قال السّدىّ وغيره[8] وذهب ابن عبّاس وقتادة إلى العكس فما بين أيديهم أمر الآخرة . وما خلفهم أمر الدّنيا[9] .

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٢٧٧ . (٢) البحر المحيط ٢ / ٢٧٧ .

(٣) البحر المحيط ٢ / ٢٧٧ وزاد القرطبيّ ١٠٧٩ على كلام الحسن : « حتّى يجازيها بعملها من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها » .

(٤) الجلالين . (٥) تفسير القرطبيّ ١٠٨٠ .

(٦) البحر المحيط ٢ / ٢٧١ .

(٧) جاء في القاموس : « وأقصد السّهم أصاب فقتل مكانه ، وفلاناً طعنه فلم يخطئه ، والحيّة لَدَغَتْ فقتلت » ويقال : رنّق النّوم في عينيه إذا خالطهما . انظر القاموس .

(٨) تفسير القرطبيّ ١٠٨٤ . (٩) البحر المحيط ٢ / ٢٧٩ .

والكرسيّ « قال ابن عبّاس : كرسيّه علمه . ورجّحه الطّبريّ . قال : ومنه الكرّاسة الّتي تضمّ العلم . ومنه قيل للعلماء الكراسيّ ، لأنّهم المعتمد عليهم . كما يقال أوتاد الأرض .... وقيل : كرسيّه قدرته الّتى يمسك بها السّماوات والأرض كما تقول : اجعل لهذا الحائط كرسيًّا ، أي ما يعمده . وهذا قريب من قول ابن عبّاس فى قوله : وسع كرسيّه . قال البيهقيّ : وروينا عن ابن مسعود وسعيد بن جبير عن ابن عبّاس فى قوله : وسع كرسيّه قال : علمه . وسائر الرّوايات عن ابن عبّاس وغيره تدلّ على أن المراد به الكرسيّ المشهور مع العرش[1] قال ابن عطيّة : والّذى تقتضيه الأحاديث أنّ الكرسيّ مخلوقٌ عظيم بين يدي العرش. والعرش أعظم منه . وقد قال رسول الله ﷺ : ما السّماوات السّبع في الكرسيّ إلاّ كدراهم سبعةٍ ألقيت فى تُرْس . وقال أبو ذرّ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما الكرسيّ في العرش إلاّ كحلقة من حديد ألقيت فى فلاةٍ من الأرض[2] .

ولا يئوده حفظهما : أي لايشقّه ولا يثقل عليه قاله ابن عبّاس والحسن وقتادة وغيرهم[3] يقال : آده الشّيء يئوده أثقله وتحمّل منه مشقّة . قال الشّاعر :

ألا ما لسلمى اليوم بتّ جديدها وضنّت وما كان النّوال يئودها[4]

ويقول الزّمخشريّ[5] فى نظم الآية الكريمة : « فإن قلت : كيف ترتّبت الجمل في آية الكرسيّ من غير حرف عطف ؟ قلت : ما منها جملة إلاّ وهي واردة على سبيل البيان لما ترتّبت عليه . والبيان متّحد بالمبيَّن . فلو توسّط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب : بين العصا ولحائها ... » .

تقرّر الآية الكريمة حقيقة توحيد الله تعالى وإفراده بالعباده وحده لاشريك له . فالله سبحانه لا إلٰه إلاّ هو ولا معبود بحقّ إلاّ هو وحده جلّ وعلا . وهذا الإلٰه الواحد المعبود

---

(١) تفسير القرطبيّ ١٠٨٤ .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٨٠ .
(٣) البحر المحيط ٢ / ٢٨٠ .
(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٧٢ .
(٥) الكشّاف ١ / ٢٩٢ .

حيٌّ دائم لايموت . ولا يكاد ينتهي عجب المرء من الّذين أعمى الله تعالى بصائرهم الّذين يشركون مع الله تعالى غيره . ويزداد العجب حينما تكون الآلهة الّتى يشركون مع الله تعالى جماداً كالحجارة الّتى يعبدها بعضهم فإذا احتاج إليها أثاف لقِدْره لم يتردّد فى جعلها ثالثة الأثافى أو أولاها وكالعجوة الّتى يعبدها بعضهم فإذا عضّه ألم الجوع لم يتردّد في التهام إلهه المزعوم التهاماً وازد راده ازدراداً واتّخاذه طعاماً . وبعد أن أثبتت الآية الكريمة للإلهٰ الواحد المعبود بحقّ صفة الحياة ، أثبتت له صفة القيّوميّة ، بمعنى المبالغة في القيام بتدبير هذا الكون الّذى ما ترى فيه من تفاوت والّذى لايخفى فيه شيءٌ عن الله سبحانه وتعالى فى الأرض ولا في السّماء وقد قال عزّ من قائل[1] : « وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاّ هو . ويعلم ما فى البّر والبحر . وما تسقط من ورقةٍ إلاّ يعلمها ولاحَبّةٍ في ظلمات الأرض ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتاب مبين » . وصفة القيّوميّة هذه معمّقة لصفة الحياة الدّائمة السّابقة عليها ، وهي قادرة على أن تقذف إلى أذهاننا في حقّ الآلهة المزعومة بصفة العجز وقد جاء في حقّ هذه الآلهة قوله تعالى[2] : « واتّخذوا من دونه آلهةً لايَخْلُقون شيئاً وهم يُخْلقون ولا يملكون لأنفسهم ضَرّاً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً » .

ويضاف إلى صفتي الحياة والقيّوميّة في حقّ الإلهٰ الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد صفتان معّمقتان لصفتي الحياة والقيّوميّة : « لاتأخذه سنةٌ ولا نوم » . وهاتان الصّفتان تقذفان إلى الأذهان في حقّ الآلهة المزعومة كلَّ صفات الغفلة. وقد جاء في سورة الأعراف[3] : « أيُشركون ما لا يَخْلُق شيئاً وهُمْ يُخْلقون. ولا يستطيعون لهم نَصْراً ولا أنفُسَهُمْ يَنْصرون . وإن تدعوهم إلى الهُدى لايتّبعوكم ، سواءٌ عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون . إنّ الّذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . ألهم أرجلٌ يمشون بها أم لهم أيْدٍ يبطشون بها أم لهم أعين يُبْصِرون بها أم لهم آذانٌ يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثمّ كيدون فلا تُنْظِرون . إنّ وَلِيِّيَ الله الّذى نزّل الكتاب وهو يتولّى الصّالحين . والّذين

---

(١) سورة الأنعام ٥٩ .
(٢) سورة الفرقان ٣ .
(٣) الآيات ١٩١ - ١٩٨ .

تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنْفُسَهُمْ يَنْصُرون . وإنّ تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا وتراهم يَنْظرون إليك وهم لايُبْصِرون » .

وإنّ صفة الحياة الدّائمة والقيّوميّة المطلقة في حقّ الذّات العلية الّتى لاتأخذها سنةٌ ولا نوم ، تنبّه في المقابل إلى نفي هذه الصّفات عن الآلهة المزعومة . فمن كان منها حيّاً خلقه الله تعالى الواحد الأحد القادر على كلّ شيء فإنّ الموت بإرادة الله تعالى ينتظره وقد قال تعالى[1] : « كلّ من عليها فان . ويبقى وجهُ ربّك ذو الجلال والإكرام » وإذا كان هذا الإلٰه المزعوم قادراً بإرادة الله تعالى على شيءٍ مّا ، فإنّها قدرة محدودة في ذاتها ومقيّدة بزمنٍ محدود ، وقد جاء في حقّ الإنسان الّذى كرّمه الله تعالى وحمله فى البّر والبحر ورزقه من الطيّبات قوله عزّ من قائل[2] : « الله الّذى خلقكم من ضعفٍ ثمّ جعل من بعد ضعفٍ قوّةً ثمّ جعل من بعد قوّةٍ ضعفاً وشيبةً يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » وإنّ السّنة والنّوم من مستلزمات الخلائق وقد قال عزّ من قائل[3] : « الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتى لم تمت فى منامها فيمسك الّتى قض عليها الموت ويُرْسل الأخرى إلى أجلٍ مسمىً . إنّ فى ذلك الآياتٍ لقومٍ يتفكرون » وحينما تكون الآلهة المزعومة لاتعقل أصلاً أو جمادات لا تتحرّك أصلاً تكون البليّة أعظم والطّامّة أشدّ .

وهذا الإلٰه الواحد الأحد الحيّ القيّوم الّذى لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ، له كلُّ ما فى السّماوات وما فى الأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً . ويلاحظ تعبير الآية الكريمة بما الدّالّة على ما لايعقل تغليباً للأكثر . فالله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيءٌ كبر أو صغر ، جلّ أو دقّ فى السّماوات والأرض وصفة الملكيّة المطلقة للّذات العليّة تقذف إلى أذهاننا فى حقّ الآلهة المزعومة بالصّفة المقابلة بل إنّها هي ذاتها ملك لله الواحد القهّار .

وتعمّق الآية الكريمة حقيقة التحام الأولى والآخرة في يقين المسلم لله ربّ العالمين فتبيّن أنّه لايشفع أحدٌ عنده جلّ وعلا يوم القيامة إلاّ بإذنه جلّ وعلا ورضاه . وقد قال عزّ من قائل[4] : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من

---

(١) سورة الرّحمٰن ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة الرّوم ٥٤ .
(٣) سورة الزّمر ٤٢ .
(٤) سورة الأنبياء ٢٨ .

خشيته مشفقون » . وقال تعالى[1] : « يومئذ لا تنفع الشّفاعة إلاّ من أذنِ له الرّحمن ورضي له قولاً » وقال تعالى[2] : « وكم من مَلَكٍ فى السّماوات لاتُغْنى شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » . ومعروف أنّ الشّفاعة العظمى قد خصّ الله تعالى بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد بن عبد الله ﷺ وهي المقام المحمود الّذى نصّت عليه سورة الإسراء قال تعالى[3] : « أقِمِ الصّلاة لدلوك الشّمس إلى غسق اللّيل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن اللّيل فتهجّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً » . « وتقّرر في هذه الآية أنّ الله يأذن لمن يشاء في الشّفاعة وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممّن أكرمهم وشرّفهم الله »[4] .

والله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما سيكون فى الأولى والآخرة فليس للزّمن علاقة البتّة بعلمه المطلق جلّ وعلا . وفي المقابل لا يحيط مخلوق بشيءٍ من علمه جلّ وعلا إلاّ بما شاء .

وفى ضوء حديث الآية الكريمة المتدرّج من الحياة السّرمديّة والقيّوميّة المطلقة إلى العلم المطلق في الحياتين الأولى والآخرة ، وفى ضوء النّفى في الآية الكريمة في القول : « ولا يئوده حفظهما » بعد الإثبات في القول : « وسع كرسيّه السّماوات والأرض » نستطيع أن نفهم قوله تعالى : « وسع كرسيّه السّماوات والأرض » بأنّه إشارة إلى قدرة الله تعالى المطلقة الّتى وسعت كلّ شيء[5] وملكه جلّ وعلا[6] وبهذا يكون العلم فى الآية الكريمة الّذى نصّ عليه قوله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاّ بما شاء » موطّئاً للقدرة المطلقة فى قوله تعالى : « وسع كرسيّه السّماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العليّ العظيم » .

---

(١) سورة طه ١٠٩ .
(٢) سورة النّجم ٢٦ .
(٣) سورة الإسراء ٧٨ ، ٧٩ .
(٤) تفسير القرطبي ١٠٨١ .
(٥) انظر تفسير القرطبي ١٠٨٥ .
(٦) الجلالين والكشّاف ١ / ٢٩٢ .

ويلاحظ أنّ الجزئيّة الكريمة الأخيرة « وهو العليّ العظيم » متمّمة للقدرة المطلقة متوّجة للمُلْك والسّلطان « وهو العليّ العظيم » « وهو العليّ : فوق خلقه بالقهر . العظيم : الكبير »[1] .

يقول ابن كثير[2] : « وهذه الآيات وما فى معناها من الأحاديث الصّحاح الأجود فيها طريقة السّلف الصّالح أمرّوها[3] كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه » .

---

(١) الجلالين وانظر تفسير القرطبي ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٠ .

(٣) يقال : أمرّ فلاناً بكذا إذا جعله يمرّ .

﴿٢٥٦﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

يقال : رشَد يرشُد رُشْداً . ورشِد يرشَد رَشَداً إذا بلغ ما يحبّ[1] والغيّ مقابل الرّشد يقال : غَوَى الرّجل يَغْوِى إذا ضلّ فى معتقدٍ أو رأى[2] وهو مصدر[3] .

والطّاغوت بناء مبالغة من طغى يطغى ... ومذهب أبى عليّ أنّه مصدر كرهبوت وجَبَروت . وهو يوصف به الواحد والجمع . ومذهب سيبويه أنّه اسم مفرد كأنّه اسم جنس يقع للكثير والقليل[4] والطّاغوت الشّيطان . قاله عمر ومجاهد والشّعبيّ والضّحّاك وقتادة والسّدّى ... أو ما عبد من دون الله ممّن يرضى ذلك كفرعون ونُمروذ قاله الطّبريّ أو الأصنام قاله بعضهم[5] قال الجوهريّ : والطّاغوت الكاهن والشّيطان وكلّ رأسٍ فى الضّلال . وقد يكون واحداً . قال الله تعالى : يريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوت وقد أمروا أن يكفروا به . وقد يكون جمعاً . قال الله تعالى : أولياؤهم الطّاغوت والجمع الطّواغيت[6] .

استمسك : تمسّك[7] .

العروة : موضع الإمساك وشدّ الأيدى والتّعلّق[8] وبالعروة متعلّق باستمسك . جعل ما تمسّك به من الإيمان عروة وهي فى الأجرام موضع الإمساك وشدّ الأيدى . شبّه الإيمان بذلك[9] والمشبّه بالعروة الإيمان قاله مجاهد . أو الإسلام قاله السّدىّ . أو لا إله إلاّ الله قاله ابن عبّاس وابن جبير والضّحّاك أو القرآن قاله السّدّى أيضاً أو السّنّة[10] .

---

(١) تفسير القرطبي ١٠٨٧ .
(٢) انظر البحر المحيط ٢ / ٢٧٢ .
(٣) تفسير القرطبي ١٠٨٧ .
(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٧٢ وانظر تفسير القرطبي ١٠٨٩ .
(٥) البحر المحيط ٢ / ٢٨٢ .
(٦) تفسير القرطبيّ ١٠٩٠ .
(٧) الجلالين . وتفسير الطبري ٣ / ١٣
(٨) البحر المحيط ٢ / ٢٧٢ .
(٩) البحر المحيط ٢ / ٢٨٢ .
(١٠) البحر المحيط ٢ / ٢٨٢ .

الوُثقى : فُعْلى من الوَثاقة ، وجمع الوُثقى الوُثق مثل الفُضلى والفُضْل[1] والمعنى فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم[2] .

والانفصام : الانكسار من غير بينونة والقصم كسرٌ ببينونة . وفى صحيح الحديث : فيُفْصِم عنه الوحي وإنّ جبينه ليتفصّد عَرَقاً أي يُقْلع . قال الجوهريّ : فصم الشّيء كسره من غير أن يبين تقول : فصمته فانفصم[3] .

بعد أن بيّنت آية الكرسي معالم التوحيد ، وظهر جليّاً لكلّ ذى بصيرةٍ نيّرة ، بيّنت هذه الآية الكريمة أنّه لا إكراه فى الدّين ولا يرغم أحد على اعتناق دين الإسلام الّذى بعث الله تعالى به محمّد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، رغم كون الدّين عند الله تعالى هو الإسلام ، وكون الإسلام الدّين الّذى أكمله الله تعالى لعباده وأتمّ به النّعمة عليهم ورضيه جلّ وعلا لهم ، وكون الإسلام ناسخاً للدّيانات السّماوية السّابقة وكون القرآن الكريم مهيمناً عليها . والحكمة فى عدم الإكراه على اعتناق دين الإسلام الحقّ قد بيّنتها الجزئيّة الكريمة التّالية : « قد تبيّن الرّشد من الغيّ » لقد تبيّن لِكُلّ ذى نفس صافية وعقل راجح وبصيرة نيّرة أنّ دين الإسلام الّذى رضيه الله تعالى لعباده هو الرُّشد وهو الحقّ وهو الصّراط المستقيم « وظهر بالآيات البيّنات أنّ الإيمان رشد والكفر غيٌّ »[4] وزيع وضلال . وإنّما قرّرت الآية الكريمة أنّه لا إكراه فى الدّين رغم كونه الرّشد الّذى استبان ، لأنّ الدّين اعتقاد ، ومحلّ الاعتقاد القلب الّذى يصدّقه اللّسان والعمل . إنّه لمّا لم يكن لمخلوق أدنى سلطةٍ على قلب أيّ مخلوق ، وكانت معجزة الإسلام الكبرى الخالدة عقليّة ، ترضى كلّ عقل بفصوص حكمها ، وتشبع كلّ نفسٍ وقلبٍ بجلال معانيها وجمال مبانيها ، كان النّصّ فى الآية الكريمة بصريح اللّفظ : « لا إكراه فى الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ » .

---

(١) انظر تفسير القرطبيّ ١٠٩٠ وانظر تفسير ابن كثير ١ / ٣١١ .

(٢) الكشّاف ١ / ٢٩٣ .

(٣) تفسير القرطبيّ ١٠٩٠ وانظر البحر المحيط ٢ / ٢٧٢ و ٢٨٣ .

(٤) الجلالين .

وإذا لم يكن من حقّ المسلمين أن يكرهوا أحداً على الدّخول فى دين الإسلام الّذى رضيه الله تعالى لعباده فإنّ واجب المسلمين كبير فى لزوم إيصال هذا الرّشد حيث وصل اللّيل والنّهار فقد وعد الله تعالى ووعده الحقّ بإظهار هذا الدّين على الدّين كلّه ولو كره المشركون وكفى بالله شهيداً ، وإنّ واجب المسلمين فى الوقت ذاته أن يعدّوا ما استطاعوا من قوّة تعينهم على أداء رسالة ربّهم وحماية دين الإسلام وضمان حرّيّة الاختيار لكل عباد الله تعالى الدّين الّذى يرتضون . ومن هو العاقل الّذى يستعمل عقله استعمالاً صحيحاً ويأمن على دمه وماله وعرضه إذا اختار الدّين الّذى يرتضى اختياراً حرّاً ثمّ لايختار دين الإسلام الّذى ارتضاه الله تعالى لعباده ! وقد ثبت من الواقع وبالدّليل أنّ الحقّ وحده لا يكفى بل ينبغي أن تكون معه القوّة الّتى تحميه وإنّ لنا في السّلف الصّالح أسوةً حسنة . فهذا المصطفى ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين يقود المسلمين بنفسه لحماية الحقّ بعد الهجرة وفي خلال عشر سنوات سبع عشرة مرّة للقتال ، ويخرج المسلمون للقتال بأمره أكثر من مائة مرّة . وإنمّا دخل النّاس فى دين الله تعالى أفواجاً وامتدّت دولة لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله خلال مائة عامٍ بعد وفاة المصطفى ﷺ من حدود الصّين شرقاً إلى مشارف باريس غرباً ومن سيبريا شمالاً إلى المحيط جنوباً لأنّ المسلمين بفضل الله تعالى قد أعدّوا ما استطاعوا من قوّة لحماية الحقّ ، ولخضد شوكة الباطل ، ولإتاحة الحرّيّة المطلقة لعباد الله تعالى كي يختاروا الدّين الّذى يرتضون وهكذا انتشر الإسلام فى سرعة البرق ، وهكذا وصل بفضل الله تعالى حيث وصل اللّيل والنّهار .

إنّ عدم الإكراه على الدّخول في دين الإسلام يستلزم إعداد القوّة الّتى تكفل لعباد الله تعالى مطلق الحرّيّة لاختيار الدّين الّذى يرتضون دون أن يصل إليهم أدنى أذى من قوى الشّرّ الّتي تتربّص بالإسلام الدّوائر .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ من كفر بالطّاغوت ، أي بالشّيطان الرّجيم وبكلّ رأس فى الضّلال وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى الّتى لا انفصام لها ولا انقطاع ، واعتصم بحبل الله تعالى المتين ، باعتناق دين الإسلام الّذى رضيه الله تعالى لعباده ، وآمن برسوله الكريم وبالقرآن العظيم وبسنّة المصطفى ﷺ المبيّنة للذّكر الحكيم .

« ولمّا كان الكفر بالطّاغوت والإيمان بالله ممّا ينطق به اللّسان ويعتقده القلب ، حسن في الصّفات سميع من أجل النّطق ، عليم من أجل المعتقد »[1] وإنّ خير ما يفسّر هذه الآية الكريمة هذا الحديث الّذى رواه الإمام أحمد والّذى أخرجاه فى الصّحيحين . « قال الإمام أحمد : أنبأنا إسحاق بن يوسف حدّثنا ابن عوفٍ عن محمّد بن قيس بن عبادة قال : كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع فصلّى ركعتين أوجز فيهما فقال القوم : هذا رجل من أهل الجنّة . فلمّا خرج اتّبعته حتّى دخل منزله فدخلت معه فحدّثته فلمّا استأنس قلت له إنّ القوم لمّا دخلت المسجد قالوا كذا وكذا قال : سبحان الله ما ينبغي لأحدٍ أن يقول ما لا يعلم وسأحدّثك لِمْ : إنّى رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه . رأيت كأنّى فى روضةٍ خضراء – قال ابن عوف فذكر من خضرتها وسعتها – وفى وسطها عمود حديد ، أسفله فى الأرض وأعلاه في السّماء . فى أعلاه عروة فقيل لي اصعد عليه فقلت لا أستطيع . فجاءنى منصف – قال ابن عوف هو الوصيف – فرفع ثيابى من خلفى فقال اصعد فصعدت حتّى أخذت بالعروة فقال استمسك بالعروة . فاستيقظت وإنّها لفى يدى . فأتيت رسول الله ﷺ فقصصتها عليه فقال : أمّا الرّوضة فروضة الإسلام . وأمّا العمود فعمود الإسلام . وأمّا العروة فهي العروة الوثقى . أنت على الإسلام حتّى تموت . قال : وهو عبد الله بن سلاّم . أخرجاه في الصّحيحين من حديث عبد الله بن عوفٍ فقمت إليه . وأخرجه البخاريّ من وجهٍ آخر عن محمّد بن سيرين به .... وهكذا رواه النّسائيّ عن أحمد بن سليمان عن عفّان وابنُ ماجة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن الحسن بن موسى االأشيب كلاهما عن حماد بن سلمه به نحوه . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحرّ الفزاريّ به »[2] .

---

(١) تفسير القرطبي ١٠٩٠ وانظر البحر المحيط ٢ / ٢٨٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣١١ ، ٣١٢ .

﴿٢٥٧﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

الوليّ : النّاصر[1] والمعين أو المحبّ أو متولّي أمورهم[2] .

بعد أن بيّنت الآية الكريمة السّابقة أنّ من يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى الّتى لا انفصام لها ، بيّنت هذه الآية الكريمة التّالية أنّ الله تعالى مع الّذين اتقوا والّذين هم محسنون ، ومتولى أمور المؤمنين وناصرهم ومؤيّدهم ومسدّد خطاهم . إنّ هؤلاء المؤمنين قد أخرجهم الله تعالى بمنّه وفضله من الظّلمات إلى النّور ، وهم كفاء جهادهم فى الله تعالى يهديهم الله تعالى دائماً وأبداً سبله وينير لهم الطّريق وبذلك هم دائماً وأبداً بعيدون من الظّلمات الّتى أخرجهم الله تعالى منها ويخرجهم .

وفي المقابل هنالك الذين كفروا وهؤلاء أولياؤهم الطّاغوت بمعنى الشيطان الرّجيم . وهم إذا كانوا قد خرجوا بالكفر من النّور إلى الظّلمات فإنّ الطّاغوت وليّهم يستمرّ فى إخراجهم من ظلمة إلى ظلمة ، فهم أبداً فى ظلماتٍ يعمهون . وقد نصّت الآية الكريمة على مصير هذا الفريق : « أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون » وهذا معناه أنّ الّذين آمنوا أصحاب الجنّة هم فيها خالدون .

ويلاحظ الفرق الكبير في التّعبير عن الفريقين دليلاً على رضا الله تعالى عن المؤمنين

---

(١) تفسير القرطبي ١٠٩١ والجلالين والبحر المحيط ٢ / ٢٨٣ .

(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٨٣ .